إنجيل يوحنا: رحلة الإيمان

«لقد سمعنا بأنفسنا»

تأليف: بروس مكلارتي

في كتابه بعنوان *٧ صفات للشخصية القوية* شجع ستيفن كوڤي *القُرّاء* ان يبتدأوا وهم يفكرون في النهاية. هذه فكرة بسيطة وصحيحة جداً في الوقت نفسه. كتب كوڤي:

> من السهل جداً ان تجد نفسك منغمسا في خضم الحياة والعمل جاهدا لصعود سلم النجاح الى ان تكتشف ان السلم الذي تقف عليه مسنوداً على الحائط الخطأ.[١]

وواصل:

> قد نكون منشغلين جداً، وقد نكون أكفاء، ولكن يمكن أيضاً ان نكون فعالين وناجحين اكثر عندما نبدأ العمل ونحن نفكر في النهاية.

وأكمل كوڤي الحديث طالبا من القارئ ان يفكر بموته. (لقد غيّر هذا السؤال في الطبعات الحديثة إلى عشاء التكريم لكي لا يكون المشهد كله كئيب!). تخيل نفسك وانت جالس بين الضيوف في مأتمك، حيث يتقدم أربعة أشخاص إلى الأمام لالقاء كلمة. الشخص الأول من أفراد أسرتك، والثاني أحد أصدقاءك، والثالث زميل لك في العمل، ويكون المتحدث الأخير واحداً من أعضاء الكنيسة التي تصلي فيها. ماذا تتمنى أن يقال عنك؟ قال كوڤي بان ما نريد أن يقوله الناس عنا يجب أن تكون المبادئ التي نطبقها في حياتنا. عندما نفكر دائماً بأننا سنموت يوما ما، يردعنا ذلك لان نحيا بطريقة أفضل!

عندما نبدأ في دراستنا لإنجيل يوحنا نريد أن نعمل الشيء نفسه: ان نبدأ ونحن نفكر في النهاية. ولحسن الحظ قد تم التعبير عن نقطة تركيز وهدف الإنجيل بوضوح ودقة. يصور لنا إنجيل يوحنا ٤: ٣٩-٤٢ أين تقودنا هذه الدراسة.

يسوع والمرأة السامرية

في الأصحاح الرابع من إنجيل يوحنا ترك يسوع وتلاميذه اليهودية في جنوب إسرائيل واتجهوا شمالاً نحو الجليل. وكانت السامرة تقع بين هذين المنطقتين. وكان اليهود ينظرون إلى الساكنين هناك بشيء من الشك والازدراء، كان اليهود حريصين على تجنب الدخول في تلك المنطقة. ولكن يسوع وتلاميذه ذهبوا من خلال السامرة. فتعبوا وجاعوا عندما وصلوا الى الضيعة التي كانت تدعى ببئر يعقوب. فجلس يسوع هناك ليستريح بينما ذهب التلاميذ إلى مدينة سوخار القريبة من هناك ليبتاعوا شيئا ليأكلونه. وبينما كان يسوع جالسا وحده هناك، جاءت امرأة إلى البئر لتستقي ماء. وخلال الحديث الذي جرى بين يسوع وهذه المرأة بدأت رحلة الإيمان في السامرة!

بدأت المرأة السامرية تلاحظ بان يسوع كان {إنساناً} غير عادياً عندما حول الحديث

[١] مقتبس من ستيفن كوڤي في كتابه بعنوان، *٧ صفات للشخصية القوية* (نيويورك: سيمون وسجاستر، ١٩٨٩)، ٩٨.

إلى حياتها الشخصية. قال لها: «اذهبي وادعي زوجك وتعالي إلى ههنا» (يوحنا ٤: ١٦). قالت له المرأة بانه لم يكن لها زوج. وأجاب يسوع: «حسناً قلت ليس لي زوج لأنه كان لك خمسة أزواج والذي لك الآن ليس هو زوجك. هذا قلت بالصدق» (يوحنا ٤: ١٧ و١٨). وعند هذا صرحت المرأة: «يا سيِّد أرى أنك نبي» (٤: ١٩).

واصل يسوع والمرأة حديثهما، وهما يناقشان مواضيع مثل السجود أو العبادة، المسيا المنتظر، والمشكلة بين اليهود والسامريين. عندما رجع تلاميذه، انطلقت المرأة إلى المدينة (تاركة وراءها جرة الماء عند البئر!) لكي تخبر الناس عن لقاءها مع يسوع. قالت لهم: «هلموا وانظروا إنساناً قال لي كل ما فعلت! ألعل هذا هو المسيح؟» (٤: ٢٩). وبهذه الطريقة جعلت الآخرين يبدأون رحلة الإيمان.

يسوع والسامريون

عندما وصل الناس من مدينة سوخار إلى بئر يعقوب، كان لهم إيماناً بيسوع بسبب ما قالته لهم المرأة (٤: ٣٩). ونتيجة لذلك طلب منه السامريون أن يمكث عندهم. فوافق يسوع وبقى هناك يومين. ونتيجة لذك «... آمن به أكثر جداً بسبب كلامه» (٤: ٤١). ينتهي هذا الحدث بتصريح من أهل السامرة إلى المرأة التي أخبرتهم أولاً عن يسوع. كلامهم يعطينا خريطة الطريق في رحلة الإيمان: «إننا لسنا بعد بسبب كلامك نؤمن. لأننا نحن قد سمعنا ونعلم أن هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم» (٤: ٤٢). أمنوا به أولاً «بسبب كلام المرأة» (٤: ٣٩)، ولكنهم في ما بعد آمنوا «بسبب كلامه» (٤: ٤١)! الذي بدأ كإيمان من مصدر ثاني قد نمى بسبب الاختبار الشخصي مع هذا الذي يدعى يسوع!

يسوع ونحن

كلنا تقريباً نبدأ رحلة الإيمان معتمدين على إيمان شخص أقوى وأكثر يقيناً منا في ذلك الوقت. وبالنسبة لكثيرين يكون هذا إيمان الوالدين. نحن نرى إيمان الوالدين الراسخ وإخلاصهم، وبسبب احترامنا لهم نعتقد بان ما يؤمنون به لا بد ان يكون حقيقة. وبالنسبة لآخرين قد يكون هذا إيمان صديق. عندما تملأنا الشكوك أحياناً، نتشبث على جراءة أصدقاءنا ويقينهم. وآخرون أيضاً قد يبنون إيمانهم على حياة وكلام مبشر محترم، أو المبشر المحبوب المسؤول عن الشباب.

الإيمان الذي يبدأ مستنداً على ايمان شخص آخر ليس إيمان رديء! هو طبيعي وعادي ـــ وهو ما يجب توقعه والصلاة لأجله، وخاصة من قبل الوالدين. تبدأ المشكلة الوحيدة لهذا النوع من الإيمان عندما يخفق في النمو والنضوج ليكون أعمق وأقوى. في آخر المطاف لا يفي الإيمان المبني على إيمان شخص آخر بالغرض ولا يستطيع ان يتحمل ثقل حياة الشخص الكامل الرشد.

بهذه الطريقة يكون الإيمان مثل أرجوحة الأطفال. عندما كانت ابنتيّ صغيرتين، كانتا تستمتعان بركوب الهواء في أرجوحة الأطفال. كانتا تتأرجحان برضى عندما تكون والدتهما تعد الطعام في المطبخ أو تدرس عند طاولة الكتابة. كانت أرجوحة الأطفال قوية كما ينبغي ان تكون في ذلك الوقت من عمرهما. حافظت الأرجوحة على سلامتهما وراحتهما ووفرت لهما السعادة. ولكن تبلغ بنتيّ الآن الحادي عشر والثالث عشر من عمرهما. لو حاولا الجلوس على أرجوحتهما القديمة اليوم، فأنها لا تتسع لهما تماما، وربما تنقطع وتتحطم الأرجوحة كلها. هل هذا يعني بان الأرجوحة رديئة؟ طبعاً لا! ولكن ابنتيّ قد كبرتا بحيث لم يعد بمقدورهما استخدام تلك الأرجوحة، والآن يتطلب ان يكون لهما شيء أكبر حجماً ليحمل وزنهما.

هكذا الإيمان ايضا. أولاً يكون الإيمان المبني على إيمان الآخرين كافي لحمل ثقل أمور الحياة التي نواجهها في حينه. ولكن يأتي وقت حيث لا بد ان يكون لنا شيء أكبر حجماً ليحملنا عبر الحياة. في مثل هذه الأوقات نحتاج إلى إيمان مبني على التقاءنا مع يسوع

وتيقننا منه. في الكنيسة التي أعمل بها أرى الكثير من الشابات والشباب يواجهون تجارب اخلاقية شديدة. انه لتحدي كبير ان يبقى الشخص نظيفا، و صادقاً، وطاهراً، ورزيناً. إذا واجه الطلبة والطالبات هذه التجارب بإيمان وبمساعدة من الوالدين فقط، فانهم يكونون في اضطراب عظيم. عندما يواجهون مشاكل الكبار يحتاجون إلى المزيد من الإيمان القوي بيسوع.

لا تختفي القرارات الصعبة حالما يخرج أحد من أمواج المراهقة الهائجة. وفي سنوات لاحقة يواجه الكثيرون مسائل صعبة بخصوص زواجهم. في العالم الذي اصبحت فيه العبارة التي تقال عند الزواج: «حتى يفرق بيننا الموت »، تعني «حتى يصبح المسير صعبا»، لا نجد تشجيعاً اجتماعياً للاستمرار في الزواج. خلال الأيام الصعبة يحتاج الأمر إلى إيمان ينبع من الداخل وليس من الخارج للمحافظة على الزواج. تواجه الكنيسة حالة مشابهة. حتى في رسائل العهد الجديد نرى إشارات متكررة بانه كانت لكل الكنائس مشاكل. قد يحبط الناس في الكنيسة من عزيمتنا ويصبح لنا رغبة في ترك كل هذا والابتعاد عنه. الإيمان الذي يأتي من الغير لا يثبتنا في الظروف الصعبة ولا يحل مشاكلنا.

نرى أيضاً أهمية الإيمان الشخصي المكتمل عندما نواجه الإخفاق. الإخفاق شيء محتوم في حياتنا. وكيفية مواجهة الاخفاق تتوقف كثيراً على ما نصبح عليه. الإيمان الذي من مصدر آخر لا يساعد كثيراً في تعاملنا مع اخفاقاتنا.

الإيمان الموروث جيد إلى حين، له دور هام عندما نبحث ونتعلم وننمو. ولكن عندما يأتي وقت مواجهتنا لعالم البالغين سن الرشد، وعندما تبدأ عواصف الحياة تعصف بنا، علينا ان نعلم أين موقفنا، ولماذا نقف حيث نحن!

إنجيل يوحنا وأنت

كُتب إنجيل يوحنا ليتحدث عن حاجتنا جميعًا إلى إيمان شخصي أكثر قوة وجراءة. وقبل نهاية هذا الإنجيل، عبر الكاتب عن هدف الروح لكتابته:

> وآيات أخرى كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تُكتب في هذا الكتاب. وأما هذه فقد كتب لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه (يوحنا ٢٠: ٣٠ و٣١).

الإيمان الذي كتب عنه يوحنا كما سنراه من خلال دراستنا هذه، هو أكثر بكثير من حقيقة قبول ادعاءات يسوع بانه ابن الله. انه يشمل أيضاً على الوثوق بانه أميناً لوعوده ونستند عليه بكامل حياتنا، عالمين انه قادر ان يحمل اثقالنا وانه سيفعل ذلك. في هذا الإنجيل وصف يوحنا بحرص ما هو الإيمان الذي يكون حسب الكتاب المقدس، وما هو غير ذلك، ويدعونا ان نتجنب كل ما هو مزيف. يشير إنجيل يوحنا ثمان وتسعون مرة للإيمان بانه يحثنا لان نتبع السامريون في طلب الإيمان الخاص بنا. ان رحلة الإيمان كما سنرى قريباً ليست سهلة ولا مريحة. لا بد من مواجهة أسئلة محزنة وصنع قرارات مكلفة. تستحق هذه الرحلة أي ثمن، لأنها تقود إلى إيمان شخصي بيسوع المسيح، ابن الله، الذي فيه لنا حياة أبدية!

الخلاصة

يبدو إنجيل يوحنا لأول وهلة وكأنه كتاب عن يسوع وعدد من الذين عاشوا قبل حوالي ألفين سنة: يسوع والمرأة السامرية عند البئر، يسوع والإنسان المولود أعمى، يسوع وضيوف العرس في قانا الجليل. ولكن يحدث شيء رائع عندما نقرأ وندرس هذه القصص: نجد أنفسنا وجهاً لوجه مع يسوع! نستمع إليه، ونشاهده، ونتعامل معه، ونمضي في اكثر رحلة أهمية وإثارة عرفها الجنس البشري، ألا وهي رحلة الإيمان!

عندما نبدأ هذه الدراسة معاً أناشدك أولاً ان تلتزم وتحدد لك هدفاً. تتعهد بان تنظر:

(من صفحة ٥) (أنظر البقية صفحة ١٧)

بعمق في حياة يسوع سائلاً نفسك بالسؤال « أيمكن أن أثق فيه بحياتي؟ » والهدف الذي أطلب منك ان تجعله لك هو ان تطور إيماناً مبنياً على اللتقاءك مع يسوع أكثر من كونه مبني على كلام الناس الذين تكلموا عنه. هذا التعهد وهذا الهدف هما في غاية الأهمية، اذا ما كنت في الثالثة عشر من العمر أم في الثالثة والتسعين، اذا ما كنت مسيحياً لمدة ستين سنة أم غير مسيحيي هل تشاركنا جميعنا في ما ستكون أهم رحلة في حياتك، أي رحلة الإيمان؟ بينما تتمعن في هذا التحدي، فكر في كلمات الصلاة لهذه الترنيمة:

افتح عيوننا يا رب، نريد أن نرى يسوع
ان نمد يدنا ونلمسه، ونقول له نحبك.
افتح أُذْننا يا رب، وساعدنا لنستمع.
افتح عيوننا يا رب، نريد أن نرى يسوع.

نظرة سريعة في إنجيل يوحنا

إنجيل يوحنا هو

١. كتاب الآيات ,الأصحاحات ١-١٢
٢. كتاب المجد، الأصحاحات ١٣-٢١

أو

١. كتاب آيات، الأصحاحات ١-١٢
٢. كتاب الآية، الأصحاحات ١٣-٢١
(الصليب والقيامة)

ملخص عناوين مختصر لإنجيل يوحنا

١. استهلال (١: ١-١٨)
٢. بداية خدمة يسوع التبشيرية (١: ١٩-٥١)
٣. الآيات وأحاديث يسوع (٢: ١-١٢: ٥٠)
٤. حديث الوداع (١٣: ١-١٧: ٢٦)
٥. الصلب (١٨: ١-١٩: ٤٢)
٦. القيامة (٢٠: ١-٢٩)
٧. القصد من الإنجيل (٢٠: ٣٠ و٣١)
٨. الخاتمة (٢١: ١-٢٥)

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧